

الفصل الرابع

فالأموات

قد دفنوا أمواتهم

وانطلقوا بغاة

يروعون الطير فى أعشاشها

ويطلقون النار

عليك يا عاهرة قد فاتها القطار

لقد حسب بعض النقاد أن التزام الأديب بقضايا مجتمعه يعنى بالضرورة عكوفه على القضايا اليومية المعيشة مما يقلل من شأن أدبه فيهيبط الفن ويبتذل، ولكن علم الجمال اثبت عكس ذلك، فالشعر العظيم لا يكتسب قيمته من سمو القضايا التي يناقشها، ولكن قيمة الإبداع تعود للأثر الجمالى والفكرى والنفسى الذى يتركه النص فى أعماق المتلقى بغض النظر عن الموضوع الذى طرحه، كما إن القضايا الصغيرة التى نعيشها فى كل يوم هى التى تكون نكهة الحياة وخصوصيتها وهى التى يمكن أن تكون مادة غنية تساعد الشاعر على بناء فنه.

ويرصد الناقد صلاح فضل ملامح عديدة يتجلى فيها البوح القومى والوطنى والسياسى من خلال أشكال عديدة فيطلق على أسلوب الشاعرة فدوى طوقان أنه يعبر عن [البوح القومى الخاص] على ما فى هذه العبارة من تضاد، فإذا ما قرأنا قصيدتها [إلى صديق غريب] سنحس أنها تبرز التواصل الفردى من خلال الهم الجماعى المشترك، وتصور فى القصيدة استحالة الحب بين فتاة عربية ورجل آخر، ليس بسبب منطق التقاليد والشرف ولكن لأنها تعانى من مواجهها الوطنية ولاطاقة لها على كبرياء الحب وندبته :

صديقى الغريب

لو أن طريقي إليك كأمس

لو أن الأفاعى الهوالك ليست